

قايين وإرثه



السَّبْتُ بَعْدَ الظُّهْرِ

المراجع الأسبوعية: تكوين ٤، عبرانيين ١١: ٤، ميخا ٦: ٧، إشعياء ١: ١١، كورنثوس الأولى ١٠: ١٣، يوحنا الأولى ٣: ١٢، تكوين ٥، تكوين ٦: ١ - ٥.

آية الحفظ: «إِنْ أَحْسَنْتَ أَفَلَا رَفَعُ؟ وَإِنْ لَمْ تُحْسِنْ فَعِنْدَ الْبَابِ خَطِيئَةٌ رَابِضَةٌ، وَإِلَيْكَ اسْتِيأْفُهَا وَأَنْتَ تَسْوَدُ عَلَيْهَا» (تكوين ٤: ٧).

في سفر التكوين، ما يحدث مباشرة بعد السقوط وطرده آدم وحواء من عدن، هو أن أشخاص يولدون وأشخاص يموتون، وذلك كله تحقيقاً لنبوءات الله في الأصحاح السابق. وكونهما أصحابين متوازيين، فإن تكوين ٣ وتكوين ٤ يحتويان على العديد من الموضوعات والكلمات المشتركة: وصف الخطية (تكوين ٣: ٦ - ٨؛ قارن ذلك بتكوين ٤: ٨)، ولعنات من «أدمة» أي «الأرض» (تكوين ٣: ١٧؛ قارن ذلك بتكوين ٤: ١١)، والطرْد من عدن (تكوين ٣: ٢٤؛ قارن ذلك بتكوين ٤: ١٢ و١٦).

السبب في هذا التشابه أو التوازي بين هذين الأصحاحين هو تسليط الضوء على إتمام ما حدث من قبل، الأشياء التي تنبأ الله بها وتوقع حدوثها وأعطاهم لآدم وحواء بعد السقوط. الحدث الأول بعد طرد آدم مفعم بالأمل والرجاء، فابنهما الأول قد ولد، وهو حدث اعتبرته حواء تحقيقاً للوعد الذي سمعته في النبوة المسيانية الواردة في تكوين ٣: ١٥. أي أنها ظنت أنه يمكن أن يكون المسيا الموعود به.

أما الأحداث التالية المتمثلة في جريمة قايين وجريمة لامك والعمر المتناقص وزيادة الشر فكلها إتمامات للعنة التي نُطِقَ بها في تكوين ٣. ولكن على الرغم من كل هذا فلم يزل هناك رجاء.

*نرجو التعمق في موضوع هذا الأسبوع استعداداً لمناقشته يوم السبت القادم الموافق ١٦ نيسان (إبريل)..

قايين وهابيل

اقرأ تكوين ٤: ١ و٢. ما الذي نتعلمه من هذه الفقرة بخصوص ولادة الابنين الذكريين؟

الحدث الأول الذي سجله لنا كاتب سفر التكوين بعد طرد آدم مباشرةً من جنة عدن هو حالة ولادة. وفي المصطلح العبراني الوارد ذكره في تكوين ٤: ١، نجد أن كلمة «الرب» (يهوه) ترتبط ارتباطاً مباشراً بكلمة «رجل»، كما نقرأ في الترجمة الحرفية التالية: «اقتنيت رجلاً، حقاً الرب نفسه». وترد الترجمة في النسخة القياسية الدولية للكتاب المقدس (المتاحة باللغة الإنجليزية)، على النحو التالي: «لقد ولدت طفلاً ذكراً - الرب». وهذه الترجمة الحرفية توحى بأن حواء كانت تتذكر النبوة المسيانية الوارد ذكرها في تكوين ٣: ١٥ وتؤمن أنها قد أنجبت مخلصها، الرب «لقد أُبْنِي عن مجيء المخلص في جنة عدن. إن آدم وحواء عندما سمعا أولاً هذا الوعد كانا ينتظران إتمامه سريعاً. وبفرح عظيم استقبلا ابنهما البكر على أمل أن يكون هو المخلص» (روح النبوة، مشتهى الأجيال، صفحة ٢٩).

في الواقع، يحتل قايين معظم تفاصيل القصة. فهو ليس البكر فقط، أو ابناً كانا على وشك السجود له في الأصحاح، بل هو الابن الوحيد الذي يتكلم وفقاً للنص الوارد في سفر التكوين. ففي حين أن حواء كانت مبهتجة ومسرورة بولادة قايين وعبرت عن ذلك بكلامها، لكنها لا تقول شيئاً من جهة ولادة هابيل، أو على الأقل لا يذكر لنا النص أنها قالت شيئاً، بعكس ما قالته حينما وُلِدَ قايين. يخبرنا النص بكل بساطة أنها «عَادَتْ فَوَلَدَتْ أَخَاهُ هَابِيلَ» (تكوين ٤: ٢).

والاسم «قايين» نفسه مشتق من الفعل العبراني «قنى» بمعنى «يكتسب أو يقتني» ويشير إلى امتلاك أو اقتناء شيء ثمين وقوي. أما الاسم «هابيل» فيعني «بخار» (مزمو ٦٢: ٩) أو «نفخة» (مزمو ١٤٤: ٤) ويدل على المراوغة والفراغ وقلة القيمة، والكلمة نفسها «هابيل» تستخدم مراراً وتكراراً في سفر الجامعة بمعنى «باطل». ورغم أننا لا نريد فهم أكثر مما تحتمله هذه النصوص القصيرة، فالشيء المحتمل هو أن آدم وحواء لم يضعوا رجاؤهما إلا في قايين، لأنهما كانا يعتقدان أنه هو وليس أخيه المسيا الموعود به.

ما هي الأشياء في الحياة التي هي حقاً «هابيل» أو باطلة، ولكننا نتعامل معها كما لو كانت أكثر أهمية مما ينبغي؟ ولماذا يتوجب علينا معرفة الفرق بين الأشياء التي لها قيمة والأشياء التي ليست كذلك؟

التقدمتان

إن الفرق بين قايين وهابيل، الواضح في اسميهما، لم يقتصر فقط على شخصياتهما، بل تجلّى أيضًا في مهمة كل واحد منهما. ففي حين أن قايين كان «عاملاً في الأرض» (تكوين ٤: ٢)، وهي وظيفة تتطلب الجهد البدني الشاق، فإن هابيل كان «راعياً للغنم» (تكوين ٤: ٢)، وهي مهنة كانت تنطوي على الحساسية والعطف. كان قايين منتجاً للثمر، أما هابيل فكان حارساً أو راعياً للغنم. هاتان المهنتان لا تفسران فقط طبيعة التقدمة أو القربان الذي قدماه (قايين من أثمار الأرض، وهابيل من أبقار غنمه)، بل يفسران أيضاً حالتهم النفسية المختلفة وأفكارهما المرتبطة بالقربانين، فقايين كان يعمل «ليكسب» الأثمار التي ينتجها، أما هابيل فكان حريصاً على «الاعتناء» أو «المحافظة» على الغنم التي حصل عليها.

اقرأ تكوين ٤: ١ - ٥ وعبرانيين ١١: ٤. لماذا قَبِلَ اللهُ قربان هابيل ورفض تقدمة قايين؟ ما هي الطريقة التي من خلالها نستطيع فهم واستيعاب ما حدث في هذا الموقف؟

«إنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة، فكان عليهما أن يعلننا عن إيمانهما بالمسيح وبدمه كالكفارة الموعود بها، بتقديمهما من أبقار الغنم ذبائح لله. وفضلاً عن ذلك كان ينبغي لهما أن يقدمنا من باكورات أثمار الأرض تقدمة شكر» (روح النبوة، الآباء والأنبياء، صفحة ٥١، ٥٢). على الرغم من امتثال هابيل لتعليمات الله وتقديمه من ثمار الأرض بالإضافة إلى المحرقة الحيوانية، أهمل قايين القيام بذلك. لم يأت بحيوان لتقديمه ذبيحة، لكنه قدّم فقط من «ثمار الأرض». وقد كان عمله هذا تمرّداً علنياً على وصايا الله، على عكس موقف أخيه. كثيراً ما يُنظر إلى هذه القصة باعتبارها نموذجاً قديماً ومعروفاً للخلاص بالإيمان (هابيل وذبيحته الحيوانية) على عكس المحاولة في كسب الخلاص بالأعمال (قايين وتقديمه قرباناً من أثمار الأرض).

على الرغم من أن هذه القربانين كان لها بالتأكيد أهمية روحية، إلا أنها لم تكن تحتوي على أي قيمة سحرية في حد ذاتها. وكانت مجرد رموز وصور تشير باستمرار إلى الله الذي قدم للخاطئ ليس فقط القوت، بل أيضاً الفداء.

اقرأ ميخا ٦: ٧ وإشعيا ١: ١١. كيف يمكن لنا أخذ المبدأ الوارد في هذه النصوص ونطبقه على حياتنا وعبادتنا

الجريمة

اقرأ تكوين ٤: ٣ - ٨. ما هي العملية التي قادت قايين لقتل أخيه؟ راجع أيضًا يوحنا الأولى ٣: ١٢.

يخبرنا الكتاب أن رد فعل قايين كان مكوّنًا من شقين: «فَاغْتَاظَ قَايِينُ جِدًّا وَسَقَطَ وَجْهُهُ» (تكوين ٤: ٥). يبدو أن غضب قايين كان موجّهًا نحو الله وهابيل. اغتاض قايين من الله لأنه كان يظن أنه ضحية ظلم، وكان غاضبًا من هابيل إذ كانت توجد في قلبه غيرّة تجاه أخيه. ولكن ما هو سبب هذه الغيرّة؟ أهو القربان فقط؟ من المؤكد أن الكثير من الأشياء كانت تحدث وراء الكواليس ولم تُعلن لنا في هذه الآيات القليلة. وأيًا كان السبب، فقايين كان حزينًا ومكتئبًا لأن قربانه لم يُقبل.

السؤالان اللذان طرحهما الله في تكوين ٤: ٦ مرتبطان بالحالتين اللتين كان قايين يوجد فيهما. لاحظ أن الله لا يتهم قايين. وكما هو الحال مع آدم، فنجد هنا أن الله يسأل أسئلة، ليس لأنه لا يعرف الإجابة عليها، ولكن لأنه يريد من قايين أن ينظر إلى نفسه ثم يفهم سبب الحالة التي يوجد فيها. وكما هو الحال دائمًا، فالرب يسعى إلى اقتداء شعبه الذين سقطوا، حتى عندما يخذلونه علانية. وبعد أن يقوم الله بطرح هذه الأسئلة، يقدم المشورة والنصح لقايين.

فإنّ في البداية يحث قايين على التصرف الحسن وفعل الصواب، وهي دعوة للتوبة وتغيير موقفه وأسلوبه في التعامل مع الأمور. وبعد ذلك يعده بأنه سيقبله ويصفح عنه. أي أن قايين يمكنه الحصول على قبول الله، ولكن ذلك لا بد أن يتم بشروط الله، وليس بشروط قايين.

وعلى الناحية الأخرى، فإن «لَمْ تُحْسِنْ فَعِنْدَ الْبَابِ حَظِيَّةٌ رَابِضَةٌ، وَإِلَيْكَ اسْتَبِيأُهَا وَأَنْتَ تَسُودُ عَلَيْهَا» (تكوين ٤: ٧). لقد أظهرت المشورة الإلهية أصل الخطية، وأنها كانت توجد في قلب قايين نفسه. وهنا ينصح الله قايين مرة أخرى ويحاول إرشاده في الطريق الذي ينبغي أن يسلكه.

تتعلق مشورة الله الثانية بالموقف الذي يجب اتخاذه تجاه هذه الخطية الراضة عند الباب والتي تشناق إليك. يوصي الله بالتعفف وضبط النفس، «وأنت تسود عليها». والمبدأ نفسه يتكرر في رسالة يعقوب عندما يشرح قائلًا: «وَلَكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يُجَرَّبُ إِذَا انْجَدَبَ وَانْخَدَعَ مِنْ شَهْوَتِهِ» (يعقوب ١: ١٤). يقدم لنا الإنجيل الوعد ليس فقط بمغفرة الخطية،

ولكن أيضًا بالنصرة عليها. (راجع كورنثوس الأولى ١٠: ١٣). وفي النهاية، لم يجد قايين من يلومه على خطيته إلا نفسه. أليس هذا يا ترى ما يحدث معنا بشكل عام؟

ماذا تعلمنا هذه القصة المؤسفة عن الإرادة الحرة وعن الطريقة التي لن يجبرنا الله بها على إطاعته؟

١٣ نيسان (إبريل)

الأربعاء

عقوبة قايين

اقرأ تكوين ٤: ٩ - ١٦. لماذا يسأل الله السؤال: «أَيْنَ هَابِيلُ أَخُوكَ؟» وما هي الصلة بين خطية قايين وبين كونه «تائهاً وهارباً ... في الأرض» (تكوين ٤: ١٢)؟

يشبه سؤال الله لقايين سؤاله لآدم في عدن: «أين أنت؟» يشير هذا التشابه إلى الصلة بين الخطية في عدن وهذه الخطية التي تم ارتكابها الآن، فالخطية الثانية (خطية قايين) كانت نتيجة الخطية السابقة (أي خطية آدم).

إلا أن قايين لم يعترف بخطيته، بل أنكرها، وهو أمر لم يفعله آدم، على الرغم من محاولته إلقاء اللوم على شخص آخر. أما قايين فقد أعلن على العكس من ذلك تحديه العلني على الله، لكن الله لم يهدر وقتاً في مواجهة قايين بجريمته. وعندما طرح الله سؤاله الثالث: «ماذا فعلت؟»، لم ينتظر الإجابة عليه. لقد ذكّر قايين بأنه على دراية بكل شيء، لأن صوت دم هابيل صارخ إليه من الأرض (تكوين ٤: ١٠)، وهي صورة تدل على دراية الله بجريمة القتل التي حدثت وأنه سيستجيب لها. وهابيل في الأرض، إشارة مباشرة إلى السقوط وما قال الرب أنه سيحدث لآدم (راجع تكوين ٣: ١٩).

اقرأ تكوين ٤: ١٤. ما هو مغزى كلمات قايين «وَمِنْ وَجْهِكَ أَحْتَفِي»؟

لقد لعنت الأرض ثانيةً بسبب دم هابيل الذي سُكِبَ على الأرض (تكوين ٤: ١٢). وبسبب ذلك حُكِمَ على قايين بأن يصبح تائهاً ولاجئاً في الأرض، بعيداً عن الله. ولم يعترف قايين بأهمية حضور الله إلا عندما سمع حكم الله عليه، لأنه كان يخاف على حياته بدونه. وحتى

بعد قيام قايين بقتل أخيه بدم بارد وإنكاره لجريمته، إلا أن الرب أظهر رحمته له، وعلى الرغم من خروج قايين من لدن الرب (تكوين ٤: ١٦)، إلا أن الرب وقَّر له نوعاً من الحماية. إلا أننا لا نعلم بالضبط تفاصيل هذه العلامة (تكوين ٤: ١٥)، فالكتاب لم يخبرنا بذلك، ولكن أيًا كانت هذه الحماية، فقد أُعطيت بسبب نعمة الله له.

”وَمِنْ وَجْهِكَ أَخْتَفِي“ (تكوين ٤: ١٤) - ما الذي حُجِبَ أو اختفى من وجه الله؟
يا له من موقف مأساوي لأي شخص. ما هي الطريقة الوحيدة التي يمكننا بها،
بصفتنا خطاة، تجنب هذا الموقف؟

١٤ نيسان (إبريل)

الخميس

شر الإنسان

اقرأ تكوين ٤: ١٧ - ٢٤. ما الذي تركه قايين خلفه؟ وكيف فتحت جريمته الطريق أمام ازدياد شرور البشر؟

يشير لامك، حفيد قايين، إلى جريمة قايين في سياق الجريمة التي ارتكبتها هو. هذه المقارنة بين جريمة قايين وجريمة لامك مفيدة. ففي حين أن قايين يلتزم الصمت من جهة الجريمة الوحيدة التي ارتكبتها، إلا أن لامك يتفاخر بجريمته، معبراً عن ذلك بأنشودة (تكوين ٤: ٢٣ و٢٤). وفي حين أن قايين يطلب رحمة الله، لكن الكتاب لا يخبرنا أن لامك كان يطلبها. وفي حين أن قايين يُنتقم له سبعة أضعاف بواسطة الله، أما لامك فيعتقد أنه سيُنْتَقَمُ له سبعة وسبعين مرةً (راجع تكوين ٤: ٢٤)، وذلك يدل على ادراكه التام بخطيته وذنبه.

والشيء الآخر هو أن قايين تزوج من زوجة واحدة (تكوين ٤: ١٧)، أما لامك فهو أول من جاء بتعدد الزوجات، لأن أسفار الوحي المقدس تخبرنا تحديداً أنه اتخذ لنفسه امرأتين (تكوين ٤: ١٩). وهذا الازدياد الكبير والشديد في الشر كان سيؤثر بالتأكيد على الأجيال القادمة التي أتت من نسل قايين.

وبعد هذه السلسلة المتواصلة من الشر في عائلة قايين، يسجل لنا الكتاب المقدس حدثاً جديداً مغايراً لما كان يحدث من قبل: «وَعَرَفَ آدَمُ امْرَأَتَهُ أَيْضًا» (تكوين ٤: ٢٥)، والنتيجة هي ولادة شيث، وهو اسم اختارته حواء للدلالة على أن الله قد وضع لها نسلًا آخر عوضاً عن هابيل. وتاريخ الاسم «شيث» يسبق في حقيقة الأمر هابيل. فالاسم «شيث» مشتق من الفعل العبراني «أشيت» بمعنى «سأضع» (تكوين ٣: ١٥)، وهي العبارة التي تبدأ بها النبوة

المسيانية. وبذلك سينتقل النسل المسياني إلى نسل شيث. ونرى بعد ذلك أن النسل المسياني، وفقاً لما ورد في أسفار الوحي المقدس، يبدأ بشيث (تكوين ٥: ٣)، ويتضمن أخنوخ (تكوين ٥: ٢٤)، ومتوشالغ، ويختتم بنوح (تكوين ٦: ٨).
وعبارة «أبناء الله» (تكوين ٦: ٢) تشير إلى نسل شيث لأنهم قد صُمِّموا للمحافظة على صورة الله (تكوين ٥: ١ و٤). أما عبارة «بنات الناس» على الناحية الأخرى (تكوين ٦: ١)، فلها على ما يبدو دلالة سلبية، إذ تقارن بين ذرية أولئك الذين على صورة الله وبين أولئك الذين هم على صورة البشر. وبسبب تأثير «بنات الناس» هؤلاء، اتخذ أبناء الله «لأنفسهم نساءً من كلِّ ما اختاروا» (تكوين ٦: ٢)، للدلالة على الاتجاه الخاطئ الذي كان ينتهجه البشر.

اقرأ تكوين ٦: ١ - ٥. يا لها من شهادة قوية على فساد الخطية! لماذا ينبغي أن نفعل كل ما في وسعنا بقوة الله لاستئصال الخطية من حياتنا؟

١٥ نيسان (إبريل)

الجمعة

لَمَزِيدٍ مِنَ الدَّرْسِ: العبارة المتكررة «سَارَ أَخْنُوحٌ مَعَ اللَّهِ» (تكوين ٥: ٢٢، ٢٤) تعني الرفقة الحميمة واليومية مع الله. كانت علاقة أخنوخ الشخصية مع الله خاصة جداً لدرجة أن «الله أَخَذَهُ» (تكوين ٥: ٢٤). ومع ذلك، فإن هذه العبارة الأخيرة فريدة من نوعها في سلاله آدم ولا تدعم فكرة وجود حياة بعد الموت مباشرة في الجنة لأولئك الذين «يسرون مع الله». لاحظ أن نُوحًا أَيْضًا سَارَ مَعَ اللَّهِ (تكوين ٦: ٩)، ومات مثل جميع البشر الآخرين، بما في ذلك آدم ومَتُوشَالِح. من المثير للاهتمام أيضاً ملاحظة أنه لا يوجد سبب لتبرير هذه النعمة الخاصة. «وصار أخنوخ كارزا للبر، فأخبر الناس بما قد أعلنه له الله. فالذين اتقوا الرب سعوا إلى هذا القديس ليستمعوا إلى تعاليمه وصلواته، وأخذ هو يخدم الجمهور أيضاً حاملاً رسالة السماء لكل الراغبين في سماع الإنذارات، ولم تقتصر خدماته على نسل شيث، بل في الأرض التي حاول قايين فيها الهروب من وجه الرب هناك أيضاً حدّث نبي الله ذلك (أخنوخ) كل الناس بالمناظر العجيبة التي كان قد رآها، وأعلن قائلاً: «هُودًا قَدْ جَاءَ الرَّبُّ فِي رَبَوَاتٍ قَدِيسِيهِ، لِيَصْنَعَ دَيْتُونَهُ عَلَى الْجَمِيعِ، وَبِعَاقِبِ جَمِيعِ فُجَارِهِمْ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِ فُجُورِهِمْ» [يهوذا ١٤ و١٥]» (روح النبوة، الآباء والأنبياء، صفحة ٦٤، ٦٥).

أسئلة للنقاش

١. لماذا قتل قايين أخاه؟ اقرأ التعليق التالي بقلم لإيلي ويزل: «لماذا فعل ذلك؟ ربما أراد أن يبقى وحيداً؛ ابناً وحيداً، وبعد وفاة والديه، أن يكون الرجل الوحيد. وحده مثل الله وربما وحده في مكان الله ... قتل قايين ليصير الله ... فالرجل الذي يسعى للارتقاء إلى مكانة الله ينتهي به المطاف باغتيال الناس» (إيلي ويزل، رُسل

الله: شخصيات وأساطير كتابية، صفحة ٥٨). لماذا علينا أن نضع بعين الاعتبار عدم عكس أسلوب قايين في التعامل مع الأمور، حتى لو لم نقتل أحداً؟

٢. قارن عمر الناس ما قبل الطوفان (تكوين ٥) بفترة حياة الآباء. كيف نفسر هذا التناقص في حياة الإنسان؟ وكيف يتعارض هذا التدهور مع أساسيات نظرية داروين الحديثة؟
